
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

النخب الدينية في العهد الزياني
خلال القرن السابع والثامن الهجري
(الثالث عشر والرابع عشر ميلادي)
-إشكالية االمصادر والتصنيف وآليات المعالجة-

صابرة خطيف
جامعة قسنطينة/الجزائر

شكّلت النخب الدينية حيزا رئيسا في الموروث التاريخي الإسلامي على مستوى الممارسة والكتابة التاريخية، من هذا المنطلق يستوجب الوقوف على دراسة هذه الشريحة باختيار النخب الدينية في العهد الزياني خلال القرن السابع والثامن الهجري (الثالث عشر والرابع عشر ميلادي) كنموذج في محاولة لمعالجة عدد من الإشكاليات . ومن المبرّرات التي استوجبت العمل على هذا الحقل المكاني والزماني:

أولا: أهمية تلمسان والدور الذي لعبته في تاريخ المغرب باعتبارها دار السلطان والحاضرة العلمية للمغرب الأوسط خلال العصر الزياني، وتمثل الفترة موضوع الدراسة مرحلة هامة في حياة الدولة وحاضرتها فبفضل ما توفر لها من عوامل كانت مجالا خصبا لنشاط عدد هام من علماء الدين سواء الذين نشؤا بها أو وردوا عليها، ولامتداد دور بعضهم الآخر غربا وشرقا، رغم الفترات التي غابت فيها السلطة الزيانية لصالح الحفصيين والمرينيين بشكل أخص(1).

---

(1)-.للتفصييل حول تطور تلمسان خلال العهد الزياني ينظر: محمد البلنسي العبدري (كان حيا سنة 688هـ/1289م): الرحلة المغربية، تحقيق: أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب، الجزائر، (د.ت)/9-10. مجهول: زهر البستان، مخطوط بالمكتبة الجامعية جون ريلاندر (John Rylands) بمانشستر (Manchestre)، القسم العربي رقم 283. 9/2 ومابعدها. أبوزكريا يحيى بن خلدون (ولد بعد 732هـت780هـ/1331-1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980 /85 وما بعدها. ج2، نشر: الفريد بيل، ط1، مطبعة فونطانة الأخوين وشركائهما، الجزائر، 1911/ 38 وما بعدها. أبوزيد عبد الرحمان ابن خلدون: (732-808هـ/1331-1405م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).13/161-162. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1493م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمد أبو عيان المكتبة الوطنية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 111/1985 وما بعدها. الحسن بن محمدالوزان (كان حيا سنة 957هـ/1550م): وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضري، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب، 17/1983-20.عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية،ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع،الجزائر، 2002. 13/1ومابعدها.2/ ومابعدها. لطيفة بشارى: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر(13هـ-16م). ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986-59/1987.

ثانيا: دراسة النخب الدينية ضمن أعمال موسوعية متعلقة بتاريخ المدينة وعاصمتها بما في ذلك أعلامها[1]، أو بالتركيز على زوايا محددة للمترجم لهم بما تناسب مع المواضيع المطروقة من خلال دراسة الحقل السياسي أو الإداري للدولة الزيانية[2]، في حين ركزت أغلب الدراسات على الجانب الفكري[3]، مع تسليط بعضها الضوء على تراجم فردية[4]، ما يتيح فرصة الغور في أعماقها بشكل أفضل.

ويتم تناول هذا الموضوع بمعالجة القضايا التالية:

أولا: النخب الدينية في العهد الزياني بين المصادر المتوفرة والمفقودة/ تنوع الموارد وإشكالية المسكوت عنه والمفقود.

ثانيا: إشكالية المكان، الهوية، الزمان، ودور المؤرخ في ضبط ببلوغرافيا النخب حقل الدراسة.

ثالثا: النمط المعرفي للعصور الوسطى وإشكالية التصنيف الدقيق للنخب.

Atallah Dhina : Le royaume Abdelwadide à l'époque d'Abou Hammou Mossa 1er et d'Abou Tagfin, 1er éd, office des publications universitaires, ENAL,Alger.

(1)- للتفصيل ينظر محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995/ 391-546.عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق،2/ يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

(2)-يذكر منها الدراجي بوزياني: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993. نبيلة حساني: القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م)، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الحميد حاجيات، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998.

(3)- يذكر منها: نوار بوحلاسة: الشعر الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، ماجستير في الأدب، إشراف: جودت الركابي، معهد الآداب واللغة، جامعة قسنطينة، 1989م. عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق،2/ ومابعدها. ومقاله: "التيارات الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع6، 1999/283-304. عبد الحميد حاجيات: "الحياة الفكرية بتلمسان"، الأصالة، ع26، 1975/136-156. "تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع10، 1997/181-192. "الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان" في كتاب: الجزائر في التاريخ الجزء الثالث العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، وزارة = =الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984/435-452. المهدي البوعبدلي: "أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ"، الأصالة، ع26، 1975/124-125.

(4)- ينظر على سبيل الذكر محمد الهادي أبو الأجفان:الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، 1988. عبد الرحمان بدوي: مؤلفات ابن خلدون، ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس،1979. محمد الطاهرتوات: ابن خميس شعره ونثره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991. بدوي عبد الرحمان: مؤلفات ابن خلدون، ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1979. محمد عبد الله عنان:ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، ط3، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1965.المهدي البوعبدلي: "أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني 650-708هـ/1253-1309م"، الأصالة، ع49-50، 1977. بونار رابح:"أبو بكر محمد بن داود كاتب يغمراسن"، الأصالة، ع3، 1971. أحمد بن ذياب: "من أعلام الجزائر الأمجاد أبو علي منصور بن عبد الله الزواوي البجائي التلمساني"، الثقافة، ع107-108، 1995.

أولا: النخب الدينية في العهد الزياني بين المصادر المتوفرة والمفقودة/ تنوع الموارد وإشكالية المسكوت عنه والمفقود.

شكل علم التراجم حيزا هاما من الكتب المصنفة خلال العصور الوسطى لارتباطه بسيرة الرسول – ص- والسلف الصالح، ولتوثيق الخبر الديني(الحديث والسنة)، وعليه أخذت كتب تراجم علماء الدين الصدارة بالمقارنة مع النخب الأخرى.

وبالنظر لتنوع نشاط علماءالدين الذي تجاوز الحقل الديني إلى السياسي تحول التأريخ للسلطتين – الدينية والسياسية- قوام الكتابة التاريخية في العصر الوسيط؛ ما انعكس بالإيجاب على تنوع الموارد التي تمدنا بروايات حول النخب الدينية، بحيث لم تعد حبيسة كتب التراجم والطبقات، بل تعدتها إلى أنواع أخرى من المصادر يصعب الاستغناء عنها في تكوين صورة شاملة عن المترجم لهم.

أولا- أ / المصادر المتوفرة بين التنوع وإشكالية المسكوت عنه

أولا-أ-1 /<u>كتب التراجم والطبقات والمناقب والمذكرات</u> :

يلتقي هذا الصنف من المصادر من حيث نوعيته مع كتب التاريخ، غير أنّه يسلط الضوء على تاريخ فرد أو مجموعة من الأفراد تجمعهم علاقة علمية أو أدبية أو سياسية واحدة، أو فترة زمنية محددة ومكان واحد، وقد يترجم لأصناف مختلفة ضمن مؤلف واحد ولفترات زمنية متعاقبة، كما يلتقي في بعض الأحيان مع كتب الأدب من حيث إيراد منتخبات نثرية أو شعرية للمترجم له.

وقد مكنت الصلات الثقافية بين حواضر العالم الإسلامي من خلال الرحلة في طلب العلم والحج من إثراء كتب التراجم بمادة عن الغرباء بحيث تتجاوز الترجمة لشخصهم أحيانا لأفراد من أسرهم أوعلماء من بلدتهم من خلال عناية المؤلف بتزويد كتابه بكل مايتوفر له من مادة مروية أو مخطوطة؛ يضاف لذلك الغرض من تصنيف الكثيرمن الكتب بحيث جعل تراجمها تمتد في الزمان والمكان، مايوفر للدارس مادة تراجمية متنوعة مابين مغربية، أندلسية ومشرقية

وبالرغم من أهمية المادة التي تقدمها هذه المصادر[1]، إلاّ أنها قد تخضع للعوامل النفسية أكثر من أي صنف آخر من المصادر، من حيث

---

[1]-للتفصيل ينظر:عدنان درويش: "كتب التراجم منجم التاريخ العربي"، الفكر العربي، ع27، 149/1982-168. ملكة أبيض: "كتب التراجم ومكانتها في دراسة الثقافة العربية الإسلامية"، الفكر العربي،27، 169/1995-184. الشريف محمد: "ملاحظات منهجية لقراءة جديدة لكتب التراجم المغربية-الأندلسية، قراءة في كتاب"عالم علماء الأندلس" لدومنيك أرفوا في كتاب التراث المغربي والأندلسي القراءة والتوثيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، منشورات الكلية، سلسلة ندوات رقم 4، المغرب، 509/1991 . أمين توفيق الطيبي: "كتب التراجم وأهميتها للباحث في تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ع12، 248/1995 .

التراجم التي تقدمها، يلاحظ ذلك بشكل جلي في التفاوت الكمي في المادة الخبرية بين ترجمة وأخرى[1]، بل وإغفال الترجمة لبعض الأعلام ذوي الشأن، ما يدفع إلى التساؤل، هل هي عملية متعمدة لسبب أو لآخر؟! أم أنها آثار الذاكرة الشفهية والقسم الضائع من المصادر الأولية؟! المؤكد أنّه يصعب استبعاد كلا السببين.

وكمثال على دور العوامل النفسية في صياغة الترجمة في ظل الانبهار بها، الترجمة التي قدمها أحد طلبة أبو عبد الله الشريف[2] المعروف بالشريف العلوي والشريف الحسني (710-771هـ/ 1310-1369م) [3] لأستاذه فبالرغم من أهميتها والتفاصيل التي أوردها حول نشاطه العلمي وسلوكه، إلاّ أنها لا تخلو من المبالغة خاصة عند الحديث عن مكانته في مجال الزهد، باعتباره من كبار متصوفة عصره[4]، وهو ما لم يتم الوقوف عليه من خلال

---

[1]-مثال ذلك شخصية أبي الخير بركات الباروني الجزائري (كان ما بين 760-791هـ/ 1358-1388م)، مصادر ترجمة أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (783-914هـ/1381-1508م):المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: جماعة من الفقهاء، إشراف: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981. 190/1. 301/4، 94/5 وما بعدها. أبوالعباس أحمد بابا التنبكتي: = =(963-1036هـ/1555-1626م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، هوامش وفهارس: طلبة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989/ 147) الذي انتقل إلى تلمسان بدعوى من أبي حمو موسى الثاني لمكانته الفقهية ورغم ذلك تبقى معطياتنا حوله جد شحيحة.

[2]-للتفصيل ينظر التنبكتي، المصدر نفسه/ 432 وما بعدها.

[3]-وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحي الإدريسي، من كبار علماء تلمسان. مصادر ومراجع ترجمته: مجهول: زهر البستان/ 15. يحي بن خلدون: المصدر السابق. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب(711-781هـ/1311-1371م):المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،193/2008. أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون:التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سلسلة آثار ابن خلدون، 1951./ 62-64. أبو العباس أحمد بن قنفذ(ت810هـ/1407م): كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، المكتبة الجزائرية، 368/1980. التنسي: المصدر السابق/179-180. الونشريسي: وفيات الونشريسي، تحقيق: محمد حجي في كتابه ألف سنة من الوفيات في ثلاث كتب، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، (د.ت)./126. المعيار، 28/11. 163/12 وما بعدها. التبكتي: المصدر السابق/430-445. أبو عبد الله محمد بن مريم (كان حيا سنة 1011هـ/1602م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تقديم عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986/ 164-184. أبو العباس أحمد بن القاضي (960-1025هـ/1552-1616م): درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس،1972 269/2. لقط الفرائد من لفاظة حقق الفرائد، تحقيق: محمد حجي في كتابه ألف سنة من الوفيات، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. (د.ت)/214. أبو العباس أحمد المقري(986-1041هـ/1578-1631م): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: أحمد أعراب سعيد وعبد السلام الهراس، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، 1978. 18/3-19. محمد إسماعيل شعبان: أصول الفقه تاريخه ورجاله، ط1، دار المريخ للنشر، الرياض، 1981/ 362-363. أحمد جلول بدوي: من أعلامنا الشريف أبو عبد الله التلمساني، الأصالة، ع4، 1971/ 48-55.

[4]-ينظر: التنبكتي: المصدر السابق/ 440-441.

المصادر العديدة التي ترجمت له، وحتى تدريسه للتصوف لم يأخذ أولوية خاصة، بل ضمن مجموعة من العلوم التي أمكن حصرها بشكل تقريبي من خلال نشاطه بالمدرسة اليعقوبية[1].
مثال آخر يؤخذ من الترجمة ذاتها في حديث المؤلف عن علاقة أبي عبد الله الشريف بالملوك قائلا[2]: «يتباعد عن الملوك مع إقبالهم عليه وحرصهم على قربه ورفعته ما تولى أمرا من أمور الدنيا، بل يقف مع العلم حيث وقف»، وهي رواية تتعدى المبالغة لتقديم خبر لا صحة له يتجلى ذلك من خلال علاقته بالسلطة الزيانية وخاصة بأبي حمو موسى الثاني[3].
مثال آخر حول تقديم معطيات متجاوزة من قبل بعض المصادر الترجمة التي قدمها ابن مريم[4] لأبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد النور(ت764 أو 765هـ/ 1362-1363م)[5] في قوله أنه «كان زاهدا ورعا من أكابر العلماء التلمسانيين»، وهو ما لم تصرح به الروايات الأولية، بل أكثر من ذلك أن ابن خلدون[6] ذكر أنه لم يكن على درجة كبيرة من الفقه ما يدعو للحذر في مجال التراجم.

ويقع الدارس في حيرة كبيرة حيال التراجم المتعرف عليها من خلال مصدر واحد أو رواية واحدة في ظل عمليات الاقتباس الحرفي- في أغلب الأحيان- للمصادر المتأخرة عن مثيلاتها المتقدمة، وهو ما يدعو لسؤال في غاية الأهمية ما مدى صحة المعلومات التي تم الوقوف عليها واستثمارها في الدراسات المتعلقة بتاريخ تلمسان في العهد الزياني عموما وبالنخب الدينية بشكل أدق.

وهناك ملاحظة لا يجب إغفالها وهي أننا لا نقف في أغلب الأحوال سوى على تراجم "الصفوة"[7] أو من كان لهم حظ في الورود في كتب التراجم نظرا للعلاقة بين المترجم والمترجم له على أساس صلة القرابة، أو التلمذة، أو الصداقة أو المكانة العلمية أو السياسية. وعند البحث في تاريخ

---

(1)-صابرة خطيف: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط1،جسور للنشر والتوزيع، الجزائر،2011/ 362-363
(2)-التنبكتي: المصدر السابق/ 439.
(3)-للتفصيل ينظر:ابن خلدون:التعريف/64.التنسي:المصدر السابق/179.التنبكتي:المصدر السابق/ 439
(4)- المصدر السابق/ 144.
(5)- مصادر ترجمته: يحي بن خلدون: المصدر السابق، 1/122. أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (711-781هـ/1311-1379م):المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981./ 173، 267. ابن خلدون: التعريف/ 46-47. ابن مريم: المصدر السابق/ 144.
(6)-لتعريف/ 46.
(7)- وهو ما صرح به ابن الخطيب في مقدمة كتابه: الإحاطة في أخبار غرناطة (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (713-776هـ/1313-1374م) ، تحقيق: عبد الله محمد عنان، ط1، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1974. 1/81.)«فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان، ومنهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان عجزا عن الإحاطة بهذا الشأن عموما في أكثر الأقطار، وخصوصا في بعض البلدان...».

العلماء ترتكز جل المادة المقدمة على الجوانب الفكرية للمترجم لهم، وهي تطرح إشكالا من حيث أنها لا تعني – غالبا- إلا بكبار العلماء وبالحديث عن دورهم في مرحلة النضج والعطاء والإشارة إلى طلبتهم البارزين، وهي لا تعطي كذلك أهمية للعلوم، والمؤلفات التي درسها هؤلاء إلا بشكل عابر أو بالتركيز على العلم الذي برزوا فيه، ما يجعل الدارس عاجزا عن تكوين صورة دقيقة عن المراحل التي يمر بها العالم والمصنفات والأساتذة الذين أخذ عنهم، مايعيق تكوين صورة متكاملة عن المراحل التى يمرّ بها الطالب ليبلغ مرحلة العالم إجمالا أو بالتعمق في علم من العلوم في ظل ندرة كتب الفهارس في الفترة موضوع الدراسة مما يشار إليه لاحقا.

هذا ولاتخلوا كتب التراجم والطبقات من الإشادة بأخلاق المترجم لهم وبذلك تأخذ منحى العمل المنقبي ما يدعو للبحث عن الجوانب المتبقية في حياة المترجم لهم بعيدا عن هذا الصنف من المصادر. وتفقد بعض النصوص أهميتها بالنسبة للباحث في حقل النخب الدينية خلال العصر الزياني عندما تتحول لمجرد نقول عن مصادر متداولة، دون إخضاعها لقواعد الجرح والتعديل[1]، وفي أحيان كثيرة بالاعتماد على رواية وحيدة[2].

ويتم تناول هذه المصادر فيما يلي:

أ- كتابات ابن الخطيب (713-776هـ/1313-1374م)

يعد ابن الخطيب من علماء الدين والأدب وساسة الأندلس البارزين، صنف في علوم مختلفة، أقام فترة بالمغرب الأقصى وبتلمسان سنة (752هـ)[3]. وشارك في دواليب السياسة متقلبا في ولائه بين بني نصر، المرينيين والزيانيين، كما جمعته علاقة مودة مع علماء تلمسان يذكر منهم ابن مرزوق الخطيب ويحي بن خلدون وأخيه عبد الرحمن[4].

- الإحاطة في أخبار غرناطة: يعد هذا المصنف الذي كان المؤلف بصدد إتمامه سنة (772 هـ/1370م)[5] من كتب التراجم البلدانية خصص القسم الأول منه للتعريف بهذه البلدة وباقي الأقسام للترجمة لأعلام غرناطة الذين ولدوا أو نشئوا أو وفدوا عليها في مختلف مراحل تاريخها، وأفاض في ذكر معاصريه من رجال السياسة وأهل العلم والأدب من إيراد منتخبات من أشعارهم أو نثرهم- لمن كان له إسهام في هذا الصدد- وقد ترجم لعدد من علماء تلمسان. من ذلك الترجمة الموسعة التي قدمها لشيخه أبي عبد الله

---

(1)-كما هوالشأن مع التنبكتي(المصدر السابق/ 36) في نقله عن رحلة العبدري والإحاطة لابن الخطيب والتعريف بابن خلدون ووفيات الونشريسي ...

(2)-كما هوالشأن مع ابن القاضي (جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، إشراف أبو العباس سيد أحمد الزجالي بن الخياط، ط حجرية، فاس، (د.ت). ذرة الحجال، لقط الفرائض) في نقوله عن ابن خلدون في التعريف والونشريسي في الوفيات.

(3)-ينظر ابن الخطيب: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي،1981. 244/1-247. 89/2-92.

(4)-حول علاقة ابن الخطيب بالأخوين ابن خلدون، ينظر:الإحاطة، 588/4-604.

(5)-ينظر محمد عبد الله عنان في مقدمة تحقيق للإحاطة، 6/1.

المقري التلمساني (ولد بعد 714هـ/1314- توفي 758هـ/1356)[1]، وقد قيد عنه أثناء مقامه بغرناطة جزءا من محتوى رحلته "نظم اللآلي في سلوك الأمالي"[2]، كما حضر بعض مجالسه للقضاء بفاس[3]، وكان معجبا بشخصه ومقدرا لمكانته العلمية يتجلى ذلك في وصفه له[4]، وفي الرسالة التي بعثها في الشفاعة له باسم سلطانه من الأندلس إلى أبي عنان المريني سنة (757هـ/1356م)[5]، وبذلك يعد مصدرا رئيسيا في التعريف بالمقري وبعلاقته بالمرينيين.

وتكمن أهمية هذا المصنف كذلك في الترجمة التي قدمها لأبي عبد الله بن خميس التلمساني(650-708هـ/ 1252-1308م)[6] والتي ترجم لها في مؤلف آخر من مصنفاته يعد في حكم المفقود وهو كتاب "عائد الصلة"، وقد كشف من خلال نقله لإحدى قصائد المترجم له والتي مطلعها «عجبا لها أيذوق طعم وصالها...» عن حيز هام من تكوينه الفكري، والإشكال الذي أثارته حول انتحاله للفلسفة. يسرت شهرة كتاب الإحاطة، أهميته، توفره في المغرب والمشرق نقل عدد من المصادر عنه يذكر منها: الديباج لابن فرحون[7]، بغية الوعاة للسيوطي[8]، نيل الابتهاج للتنبكتي[9]، نفح الطيب للمقري[10].

---

(1)-.وهومحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر. مصادر ومراجع ترجمته: ابن الخطيب: الإحاطة، 191/2-226. يحي بن خلدون: المصدر السابق، 121/1. أبو إسحاق إبراهيم اللخمي الشاطبي، (ت790هـ/1388م): الإفادات والإنشادات، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983/ 81 وما بعدها. أبو الحسن بن عبد الله النباهي:(713-كان حيا سنة 793هـ/1313-1390م): تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)/ 169-170. برهان الدين إبراهيم بن ابن فرحون (ت799هـ/1396م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1329هـ / 288-289. ابن خلدون: التعريف/ 59-62. أبو العباس أحمد بن القنفد (ت 810هـ/1407م): أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965/ 80. الونشريسي: المعيار ، 20/1، 191-192. 443/2 وما بعدها. 116/4-117. 189/5-194. 446/7. 310/10، 368. 76/12 وما بعدها. التنبكتي: المصدر السابق/ 197 وما بعدها. أبو الأجفان:المرجع السابق

(2)-ابن الخطيب: الإحاطة، 191/2 وما بعدها.

(3)-المصدر نفسه، 195/2.

(4)-المصدر نفسه، 194/2-195.

(5)-المصدر نفسه، 197/2-200.

(6)- وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس. مصادر ومراجع ترجمته: العبدري، المصدر السابق، 11-19. ابن الخطيب، الإحاطة، 528/2-562. يحي بن خلدون: المصدر السابق، 86/1 وما بعدها. ابن مرزوق: المسند / 264. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(849-911هـ/1445-1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ط2، دار الفكر، 187/1979، 201.ابن القاضي:درة الحجال،27/2-32. المقري:أزهار الرياض، 336/2-340. نفح الطيب 1997. 625/2. 324/4-325. 356/5-378. 131/7-133.الطاهر توات:المرجع السابق.المهدي البو عبدلي،"أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني/2-12.

(7)-المصدر السابق.

(8)-السيوطي:المصدر السابق

(9)-المصدر السابق.

(10)-المصدر السابق

- نفاضة الجرب في علالة الاغتراب[1]: يعد هذا المؤلف من المذكرات الشخصية الذي ألفها ابن الخطيب في الفترة التي قضاها في منفاه بـ"سلا" ما بين (761-763هـ/1359-1361م)[2]. وقد تضمن مادة هامة عن علاقة ابن مرزوق الخطيب بأبي سالم المريني (760-762هـ/1358-1360م).

ب-كتابات ابن مرزوق الخطيب (711-781هـ/1311-1389م)

تأخذ كتابات ابن مرزوق الخطيب أهميتها انطلاقا من كونه من أبرز علماء تلمسان، برز فيعدد من العلوم النقلية[3]، ولد ونشأ بها وأمضى فيها شطرا هاما من حياته العلمية والعملية، وكان لدور أسرته بتلمسان القائم على علوم الدين والصلاح عاملا بارزا في تعزيز مكانته[4].

-المناقب المرزوقية[5] يعد مصدرا بالغ الأهمية في التعريف بأسرته من علماء وصلحاء تلمسان، والده[6]، جده لأبيه [7]، جده لأمه أبي إسحاق التنسي[8] وشقيقه أبي الحسن[9] وختمه في التعريف بنفسه[10]. وقد ارتكزت المادة التي تضمنها الكتاب فيما يتصل بأسرته وشخصه على ثلاث أصعدة، المكانة العلمية، جانب الزهد والتصوف، والحظوة السياسية في العلاقة بالسلطتين الزيانية والمرينية. ويكتسي هذا المصنف أهمية أخرى من خلال عدد هام من التراجم التي قدمها عن علماء تلمسان من خلال معاصرتهم

---

[1] تحقيق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ت).

[2]-للتفصيل ينظر محمد عبد الله عنان: لسان الدين بن الخطيب لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965/ 242-243.

[3]-للتفصيل ينظر إبن مرزوق:المناقب /313،140-315.

[4]-للتفصيل ينظر يحي بن خلدون: المصدر السابق،1/114-115. ابن مرزوق: المناقب/140ومابعدها. ابن خلدون: العبر،203/13. ابن مريم: المصدر السابق/27-29

[5]-المصدر السابق

[6]-أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني (681-741هـ/1282-1340م) مصادر ترجمته: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 115/1. ابن مرزوق:المناقب/188-271،257-272. ابن القنفد: أنس الفقير/93، 94. شرف الطالب في كتاب ألف سنة من الوفيات، تحقيق: أحمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التراجم رقم2، (د.ت)/86. تقي الدين المكي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1964، 173/3-174. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر(773-852هـ/1371-1442م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: عبد المنعم خان محمد، ط2، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1972، 354/1. الونشريسي: المعيار، 442/1.

[7]-أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبو بكر محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني القيرواني (629-681هـ/ 1231-1282م). مصادر ترجمته: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 114/1-115.ابن مرزوق:المناقب/149-188.

[8]- وهو إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام بن عبد يمشون المطماطي التنسي (ت ما بين 689-703هـ/1290-1303م)، مصادر ترجمته العبدري: المصدر السابق/ 11،5، 22. يحي بن خلدون المصدر السابق، 114/1. ابن مرزوق:المناقب/273-329. المسند/479. التنسي: المصدر السابق/126-127. التنبكتي: المصدر السابق/ 38-39.

[9]-يصغر الأخ السابق الذكر، مصادر ترجمته: العبدري: المصدر السابق/ 11. يحي بن خلدون: المصدر السابق، 144/1. ابن مرزوق:المناقب/294-298.

[10]- . ابن مرزوق:المناقب/298-311.

لأفراد أسرته وفي التعريف بعدد من الأسر العلمية بتلمسان والتي كان مصدرا وحيدا في ترجمتها -إذا استثنى من ذلك الأسر التي وردت عند يحي بن خلدون[1]، وأخيه عبد الرحمن[2]- وفي تحديد علاقتها بالبلاط الزياني.

رغم أن ابن مرزوق أفصح في بداية مؤلفه[3] أن من دواعي كتابة هذا المؤلف الاقتداء بمن سبقه في هذا المجال وضياع عدد من المصنفات في تراجم الصلحاء والعلماء. إلا أنه وبالنظر للظروف التي تم فيها وضع هذا المصنف، وما ناله من أذى من قبل السلطة المرينية وبالنظر لغزارة المادة التي قدمها حول حظوته وأسرته في البلاط الزياني والمريني على وجه الخصوص يكشف عن هدف آخر لهذا المصنف وهو دفاعه عن نفسه في ظل النكبات التي تعرض لها بعد عهد أبي الحسن المريني[4](731-749هـ/1330-1348م) ورسالة صريحة لفك أسره نظير الابتعاد عن السياسة والانقطاع إلى الله -عز وجل- والرحيل نهائيا للحجاز لمجاورة قبر النبي[5].

غلبت على مصادر المؤلف الرواية الشفوية -التي كان مصدرها أفراد أسرته وعدد من علماء وصلحاء تلمسان ورواياته الخاصة بالنظر للتراجم المعاصرة له، كما استعان بعدد من المدونات على أنّ ما يؤخذ على هذا المؤلف هو عدم عنايته بتحديد التواريخ واقتصار أغلبها على أفراد أسرته وهو أمر له مبرره في الظرف الذي ألف فيه و لأجله. غير أنّ السؤال المطروح هو أنه وبالرغم من أهمية هذا االكتاب إلا أننا لا نقف على نقول عنه إلا من خلال التنبكتي[6] في ترجمته لأبي إسحاق التنسي!.

المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن: تم الانتهاء من تأليف هذا الكتاب بعد تسع سنوات من إنجاز المناقب[7] وذلك سنة (772هـ/1370م)[8]، أي بعد اثنين وعشرين سنة من وفاة المترجم له، وقد كان الباعث على إنجاز هذا المصنف هو رغبة المؤلف في العودة للبلاط المريني عهد ابن المترجم له أبي فارس عبد العزيز المستنصر[9] (768-774هـ/1366-1372م)، وهذا ما شحن الكتاب بمشاعر فياضة تجاه المترجم له مما يسمح بإدراجه ضمن كتب المناقب من جهة، وكتب مرايا الملوك من جهة أخرى.

وهو يقدم مادة معاصرة كشاهد عيان عهد أبي الحسن المريني الذي

---

(1)-المصدر السابق.

(2)-التعريف.

(3)-المناقب/142.

(4)-للتفصيل ينظر: المصدر نفسه/309-310.

(5)-للتفصيل ينظر: المصدر نفسه/ 310-311.

(6)-المصدر السابق/ 38-39.

(7)-ختمه سنة 763 كما ورد في نهاية مؤلفه (المناقب/ 311).

(8)-ابن مرزوق: المسند/ 500.

(9)-ينظر: المصدر نفسه/ 92-93.

دخل في خدمته في الفترة الممتدة ما بين (737-749هـ/1336-1348م)[1]، يخصنا ما اتصل بسياسته الدينية والتعليمية التي سمحت بتكوين صورة شبه كاملة عن عهده–وإن لم تخل من مبالغة- والقسم الخاص بسيرة أسلاف السلطان المترجم له والعلاقات المرينية الزيانية، بحيث شكل علماء تلمسان في هذه المادة حيزا هاما من خلال حديثه عن الرعاية التي خصّ بها بعضهم من قبل بني مرين، وأبي الحسن بشكل خاص، وبموقفهم المساند للسلطة المرينية انطلاقا من انتقال بعضهم للعمل في البلاط المريني، وانضمام قسم آخر للمجلس العلمي لهذا السلطان. وبالنظر للمادة التي قدمها ابن مرزوق الخطيب عن دوره عهد هذا السلطان وبعض أفراد أسرته يتقاطع هذا المؤلف مع كتابه السابق الذكر(المناقب). يضاف لأهمية المسند في تعريفه بعدد من علماء تلمسان الذين ترجم لهم وكان في ذلك إضافة إلى كتابه المجموع مصدرا وحيدا في التعريف بهم؛ ويتكرر السؤال السابق عن غياب نقول من هذا المصنف في المصادر المتأخرة إذا استثني من ذلك بعض النقول[2]؟.

جـ-التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا:

يعد هذا المصنف من كتب المذكرات الشخصية عاش مؤلفه خلال القرن الثامن والعقد الأول من القرن التاسع (732-808هـ/1331-1405م) وتوزع نشاطه السياسي بين دول المغرب- إفريقية، تلمسان، المغرب الأقصى- والأندلس والمشرق وتعزز بمكانته العلمية كمنظر لعلم العمران وللحركة السياسية بالمغرب، دون إغفال تكوينه العلمي الأساسي في مجال علوم الدين.

نرجع لكتابه "التعريف" في ترجمته لشيوخه وأصحابه ممن ضمهم مجلس أبي الحسن المريني من بينهم جملة من علماء تلمسان؛ وتتجلى أهمية هذه المادة من حيث أوليتها ومكانة العالم الذي صدرت منه كشاهد على جملة من أحداث عصره وإن كانت لا تخلو من الانطباع الشخصي ومن إيجاز في بعض التراجم، تنوعت المعطيات التى قدمها عن هؤلاء العلماء من حيث إسهامهم في المجال الفكري ودورهم في المجال السياسي، كما عكست إعجابه الشديد بشخص أبي الحسن المر يني. ومما يعزز مكانة هذا المؤلف انفراده ببعض الروايات، علاوة على اهتمامه بضبط تواريخ تراجمه والأكثر من ذلك أنه كان أهم مصادر الونشريسي في الوفيات[3]، وابن القاضي في لفظ الفرائض[4] وجذوة الاقتباس[5] والتنبكتي في نيل الابتهاج[6].

(1)-ينظر: المصدر نفسه/136ومابعدها.
(2)-.للتفصيل ينظر:ماريا خيسوس بيغيرا في مقدمة تحقيقها للمسند/ 71-72
(3)-المصدر السابق.
(4)-المصدر السابق.
(5)-المصدر السابق.
(6)-المصدر السابق.

د-نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي (963-1036هـ/1555-1626م)
يعد هذا الكتاب مكملا لكتاب ابن فرحون الديباج المذهب[1] على أن خصوصية هذا المؤلف مغربيته وسعة معارفه[2]، جعلته يترجم لعدد ضخم من علماء المغرب والأندلس، يهمنا من ذلك علماء تلمسان خاصة وأن المعلومات التي قدمها حولهم كانت غزيرة. يدعم قيمة هذا المصنف أمانة صاحبه الذي أفصح في جّل مواطن كتابه عن موارده التي تنوعت بين كتب التراجم والتاريخ والفقه والرحلات؛ وقد سمحت المقارنة بينه وبين النصوص المتوفرة التي نقل عنها من الاطمئنان في التعامل معه فيما اتصل بالمصادر التي تعد في حكم المفقود، أو التي لم يشر إلا لأصحابها دون تحديد مضانها ما يرفع من قيمته التوثيقية[3].
هـ، - شرف الطالب في أسنى المطالب لابن القنفد القسنطيني (ت810/1407م)[4]: تكمن أهمية هذا المؤلف في تحديد وفيات بعض فقهاء تلمسان وقد أكمل هذا العمل الونشريسي في كتابه الذي خصصه لذات القصد والموسوم بـ "وفيات الونشريسي"[5]

أولا-أ-2/كتب الموسوعات

يختلف الهدف من انجاز هذا النوع من المصنفات من مصدر لآخر و يعد من الموارد الأساسية لعمل المؤرخين بما يوفره لهم من كم معرفي متنوع يوظف فيه صاحبه كل الإمكانات الفكرية والمصادر المتاحة له، إيفاء بالغرض من انجازه واستعراضا لمهاراته الأدبية، والعلمية ولثقافته الواسعة، يهمنا في هذه الدراسة مصنفين
-أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض[6] ونفح الطيب في غض الأندلس الرطيب للمقري[7]
يعد أبو العباس أحمد (986-1041هـ/ 1578-1631م) سليل أسرة المقري أحد المؤلفين الذين برزوا في حقل التصنيف الموسوعي من خلال مصنفين له الأول هو: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض والثاني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. إن بناء العملين واحتوائه على قسم كبير من التراجم يتيح فصل ماتضمناه من تراجم في شكل كتب مستقلة تضم لزمرة كتب التراجم والطبقات دون تحفظ. أحاطت بإنجاز هذين المصنفين مجموعة من الظروف

---

(1)-المصدر السابق.
(2)-عبد الجليل التميمي، كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي معلمة ببليوغرافية للأعلام المغاربة، المجلة التاريخية، ع11، 1984/ 39 وما بعدها.
(3)- بالإضافة للمتن ينظر خاتمة مؤلفه التي استعرض فيها جملة من المصادر التي اعتمد عليها/640-641.
(4)-المصدر السابق
(5)-المصدر السابق
(6)-المصدر السابق
(7)-المصدر السابق

النفسية بحيث جعلتهما يتحولان في جزء من مضمونهما إلى سيرة ذاتية لصاحبها[1] حملت الكثير من مشاعر شوقه إلى بلده تلمسان[2]، الذي غادره في ظروف لا تخلو من غموض إلى المغرب الأقصى[3]. (1013-1027هـ /604-1617م) ليبعد نهائيا إلى المشرق (1027-1041هـ/1617-1631م)[4].
وبذلك كان حديثه عن أسرته خاصة المقري الجد (أبوعبد الله المقري) وعلماء بلده نوعا من السلوى والدفاع غير المباشرعن الذات، فإذا كان حديثه عن المقري الجد في نفح الطيب مبررا لكونه من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب فإن الترجمة المطولة التي أفردها له في أزهار الرياض[5] لم تكن كذلك، خاصة حينما استطرد في الحديث عن شيوخه الآخرين غير ابني الإمام[6]. وإذا كان مؤلفه الأول الذي باشر تأليفه في الفترة التي قضاها في المغرب الأقصى وأتمه بالمشرق سنة (1028هـ/1618م)[7] قد أتى فيه بذكر غير يسير عما سلفت الإشارة إليه، فإن مؤلفه الثاني الذي أنجزه بمصر

---

(1)-المقري: أزهار الرياض، 3/1-16، 19.
(2)-المصدر نفسه، 3/1-11، ونفح الطيب، 13/1-33.
(3)-ابن عبد الكريم محمد: المقري وكتابه نفح الطيب، سلسلة من أعلام الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت)/ 159-163.
(4)-المقري: نفح الطيب، 13/1-14.
(5)-12/5-78.
(6)- وهما الأخوين أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن الإمام مصادر ترجمته: ابن الخطيب: نفاضة الجراب/374. يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، 130/1. ابن مرزوق :المسند/161 وما بعدها. ابن فرحون: الديباج/152. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الشعب، القاهرة،(د.ت)/397. العبر 205/13 وما بعدها. التعريف/21 وما بعدها. أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي المازوني (ت883هـ/1478م): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، ج1، رقم 435/1335 وـظ. التنسي:المصدر السابق/139، 142. الونشريسي: الوفيات/112، 118. المعيار، 20/1 ومـا بعدها، 461/2-462، 468. 333/12. محمد بن أحمد بن بن غازي (841-919هـ/1341-1513م): الروضّ الهتون في أخبار مكناس الزيتون، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 45/1999،42. القرافي بدر الدين محمد بن يحيى (939-1008هـ/1532-1599م): توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: أحمد الشنيوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ت). القرافي: توشيح الديباج/144-150. التنبكتي: المصدر السابق/94 وما بعدها. ابن مريم: المصدر السابق/123-127. ابن القاضي: درة الحجال، 80/3-81. المقري: أزهار الرياض، 12/5-26، 33-34. نفح الطيب، 215/5-221.
Georges Marsais : « Note sur l'épitaphe d'un savant tlemcenien : Abu Mûsa fils de l'imâm » Revue Africaine,
.=130-114/1918) وأبو موسى عيسى بن الإمام أصغر من أخيه (مصادر ترجمته: ابن الخطيب: نفاضة الجراب/374. يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، 130/1. ابن مرزوق:المسند/163 وما بعدها. ابن خلدون: المقدمة/397. العبر، 250/13 وما بعدها. التعريف/21 وما بعدها. أبوعبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (767-842هـ/1364-1438م):نوازل ابن مرزوق الحفيد، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 24/1342 ظـ25و. التنسي: المصدر السابق/136، 142. الونشريسي: الوفيات/188-119. المعيار، 346/1. 93/2. وما بعدها. 331/5-334. 6/ 329 وما بعدها. 257/7 وما بعدها .11/ 373- 383 . القرافي: المصدر السابق/144-147. ابن القاضي: درة الحجال، 186/3-187. المقري: أزهار الرياض، 12/5-18).
(7)-المصدر نفسه، 19/1.

(1037-1039هـ/1627-1629م)[1] قد تضمن مادة مضاعفة لها في ظل المسافة الشاسعة التي كانت تبعده عن وطنه؛ بحيث غدت الترجمة لجده محور التراجم التي قدمها عن علماء تلمسان في الفترة موضوع الدراسة من خلال نقوله عن رحلة جده نظم اللآلي في سلوك الأهالي.

وبمكن تصنيف مصادره إلى قسمين: قسم نقله عن مصادر سابقة وفي ظل توفر أصول الكثير منها لا تحظ بأهمية على أن مقارنتها بنقوله الخاصة بالقسم الثاني من المصادر الشفهية والمصادر التي تعد في حكم المفقود تسمح بالاطمئنان في العمل عليه وتزكي من قيمته التوثيقية.

أولا-أ-3/<u>كتب التاريخ:</u>

ارتكزت أغلب المادة التي احتوتها كتب التاريخ الإسلامي خلال القرون الوسطى على الأحداث السياسية والعسكرية، وحينما يتعلق الأمر بالتأريخ لدولة ما فإننا نكون أمام تاريخ حكام باختلاف درجاتهم. ولما كان علماء الدين والفقهاء على وجه التخصيص طرفا رئيسا في الفعل السياسي لهذه الدول فقد أثريت هذه المصنفات بمادة تختلف من مؤلف لآخر وحينما كان يتم التأريخ لهؤلاء الحكام من رواة مناصرين أو معادين يقع الباحث من دون شك تحت سؤال ملح، ما مدى صحة ما تمتلكه من معطيات في هذا الجانب طالما أن الكتابة تحت أي مشاعر مندفعة سواء كانت معادية أم مناصرة، أو استجابة للقريحة الأدبية من شأنه أن يفعل بالحقائق التاريخية ما لا يغيب عن الدارس؟

وعلى الرغم من غياب عدد من الكتب المصنفة حول تاريخ تلمسان- مما يتم تناوله لاحقا- فإن ما يتوفرمنها للدارس يجعلها في المقام الثاني إفادة في مجال التراجم.

<u>أ-زهر البستان في دولة بني زيان</u>[2]: من الكتابات الرسمية للأسرة الزيانية، يجهل مؤلفه وكل ما يتوفر من قرائن يشير إلى أنه كان في بلاط أبي حمو موسى الثاني بين سنتي (760-766هـ/1358-1365م)[3]، لا يعرف من هذا الكتاب إلا ثلاثة أجزاء؛ الأول في حكم المفقود ونعرف بعض محتواه من خلال الجزء الثاني[4] والثالث مشار له في القسم السابق الذكر[5]، ويجهل إذا ما شرع في تأليفه أم لا. يغطي القسم الثاني من هذا الكتاب الفترة الممتدة من سنة (758هـ/1356م إلى مطلع سنة 765هـ/1363م[6]، مع إشارات عن الفترة

---

(1)-نفح الطيب، 80/1-99، 519/7.

(2)-المصدر السابق

(3)-لأنه يقدم أحداث الفترة السابقة استنادا إلى مصادر أخرى للتفصيل، ينظر: مجهول: زهر البستان (اظ- 2و)، أتم الجزء الثاني من الكتاب سنة 766هـ (ينظر: المصدر نفسه/ 94و).

(4)-مجهول: المصدر نفسه/ 1و، 4ظ.

(5)-مجهول: المصدر نفسه/ 94و.

(6)-مجهول: المصدر نفسه/ 1و، 4و- 94و.

السابقة التي تمتد إلى سنة 753هـ/1352م[1]، وبذلك فإن قيمة هذا المخطوط الزمنية تتجاوز التاريخ، المحدد من قبل بعض الدارسين[2] بخمس سنوات من سنة 760هـ/1358م إلى 765هـ/1363م).

وعلى الرغم من قصر المدة التي غطاها هذا الكتاب ومن البتر الذي يشوب بعض أوراقه، فإنه أخذ أهميته انطلاقا من كونه أول المصادر الزيانية المتداولة بين الدارسين، إلى جانب احتفاظه بنصوص فريدة منها ما تعلق بمشاركة العلماء بالاحتفال بالمولد النبوي في البلاط الزياني، وبعلاقة عدد منهم بالبلاط الزياني ، وكذلك بالكشف عن دور الطلبة- علماء المستقبل- في تقديم الدعم السياسي للسلطة الزيانية، وفي مدنا بتصور شامل ودقيق عن سياسة أبي حمو موسى الثاني في علاقته بالعلماء، وهو ما يسمح بالمقارنة بين سياسة هذا الأخير وسياسة أبي الحسن المريني. إلا أنه وفي ضوء العملية الانتقائية لكتب التاريخ كما هو الشأن مع كتب التراجم ولافتقادنا للجزء الأول والثالث من هذا المصنف يأخذ كتاب بغية الرواد ليحي بن خلدون أهميته كمصدر موازي ومكمل لزهر البستان وهذا ما سيتم الكشف عنه.

ب-بغية الرواد:

يأخذ كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد[3] أهمية في هذه الدراسة من حيث كونه: مصدرا مدعما ومكملا لكتاب زهر البستان افتتحه مؤلفه بالتعريف بقبيل بني عبد الواد[4]، وانتهى ما وصلنا منه عند أحداث سنة(777هـ/1375). وبوصفه من الكتابات الرسمية للدولة الزيانية تقلد صاحبه كتابة السر لأبي حمو موسى الثاني، وسبق له العمل في البلاط الحفصي والمريني، ما أثرى رصيده المعرفي بالخبرة السياسية والاطلاع على الوثائق الرسمية لتلك الدول، والتعرف على كبار رجال بلاطات المغرب في عصره[5]، وهذا ما ضاعف من قيمته التوثيقية. التحق رسميا بالبلاط الزياني لأول مرة سنة (769هـ/1367م)[6]، وعاد ثانية سنة (776هـ/1374م)[7]، ولم يكن مؤلفه سوى محاولة لتوطيد أواصر العلاقة مع السلطان موضوع التأليف، يكشف عن ذلك تركز حوالي ثلثي مصنفه في

---

(1)-مجهول: المصدر نفسه/ 1و- 4ظ.

(2)- الدراجي بوزياني: المرجع السابق/9. عبد الحميد حاجيات في مقدمة تحقيقه لكتاب زهر البستان، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،6/2011

(3)-المصدر السابق.

(4)-المصدر نفسه، 84/1.

(5)-هوأبو زكريا يحي بن خلدون (ولد بعد 732-ت 780هـ/ 183-1378م) مصادر ومراجع ترجمته: مجهول: زهر البستان/ 85ظ-86ظ، 92ظ. ابن الخطيب: ريحانة الكتاب،140/2-143. ابن خلدون: التعريف/97 وما بعدها. العبر، 292/13-293. المقري: أزهار الرياض، 237/1-242، 246-247. نفح الطيب، 396/6-399، 509-513، 515-517. عبد الحميد حاجيات في مقدمة تحقيقه لكتاب يحي بن خلدون: المصدر السابق، 7/1-63. وداد القاضي: "النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزياني الثاني ومكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها"، الأصالة، ع27، 1975/ 12-13، 29..

(6)-المصدر نفسه، 200/2-202. ابن خلدون: العبر، 901/14-903. التعريف/ 102-103.

(7)-عبد الحميد حاجيات في مقدمة تحقيقه لبغية الرواد، 52/1.

مدح وتمجيد لعهد أبي حمو موسى الثاني، إضافة للديباجة التي تضمنت إطراء على شخصه وأسلافه وأن تأليفه لهذا الكتاب امتثالا لأمره باعتبار "طاعته من طاعة الله ورسوله"[1]، وإشارة لعهده وسيرته على سبيل الفخر والوعظ. وقد قسمه إلى ثلاث أقسام:

القسم الأول في التعريف بقبيل بني عبد الواد وأوليته، واستندنا منه في موقف يحي بن خلدون من نسب بني عبد الواد، وفي ذكر من أنجبته واستقر بتلمسان من الصالحين والعلماء، وقد تضمن مادة أولية وغزيرة عن العلماء والأسر العلمية بتلمسان لايمكن للدراس الاستغناء عنها بالرغم من عدم اهتمامه بتحديد تواريخ ميلاد ووفيات أعلامه وعدم توزيع مادته الخبرية بشكل متوازن بين كل التراجم وإهماله لبعض الأعلام البارزين في العهد الزياني، ما يفرض سؤالا ملحا حول دوافع هذا الموقف الذي لايمكن استبعاد العوامل الشخصية فيه.

وإن كان القسم الثاني تمحور حول ذكر ملوك بني عبد الواد، فإن القسم الثالث المعنون بـ"فيما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو أيده الله من الشرف الشاهق الأطواد" يزود الدارس بمادة مركزة حول المسار السياسي للدولة الزيانية ومن ذلك علاقة السلطة بعلماء الدين- الفقهاء والمتصوفة- على وجه التخصيص. وآخر ما يمكن أن نختم به حول هذا المصدر القيم في تاريخ تلمسان هو تنوع مصادره وثرائها وان لم يكشف عنها في كل المواطن، خاصة ما تعلق منها بالمرحلة التي كان فيها بعيدا عن البلاط الزياني.

أولا-أ-4/-<u>كتب النوازل</u>

من أبرز ملامح العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى هو النفوذ الذي تحقق للفقهاء والتزايد اللاإضطرادي في عددهم على مر السنين، مقارنة مع العلماء ذوي الاهتمامات الأخرى[2]، ولعلّ من الأسباب الرئيسية في ذلك المكاسب الأدبية والمادية التي تحققت لهم نظرا للسلطة الروحية والعلمية التي حازوا عليها بوصفهم من أبرز الشرائح الفاعلة في الحضارة العربية الإسلامية.

وعليه يأخذ الرجوع لمصنفاتهم المتعلقة بالأحكام الشرعية- كتب النوازل- أهميته في الكشف عن قسم هام من رصيدهم الفكري من جهة، وفي التعرف على الدور المنوط بهم في معالجة قضايا عصرهم على المستوى العلمي والاجتماعي بكل حيثياته، ذلك أنها ماهي إلا تعبيرا عن استجابة لمطلب شخص أو مجموعة أفراد أوجهة رسمية أو زملاء في السلك ذاته علماء كانوا أو طلبة علم؛ بحيث تشترك كتب النوازل مع كتب الفقه التي كانت موجهة لأهل الاختصاص في كونها من الكتب الدراسية ما يسمح

---

[1]-يحي بن خلدون المصدر نفسه، 79/1.

[2]- يستثنى من ذلك المتصوفة الذين كان العلماء منهم فقهاء أولا.

بدراسة حيز من دراسة الفقهاء للعلوم الشرعية. هذه الفتاوى وإن كانت غير ملزمة بالقوة فإنها ملزمة بالفعل انطلاقا من كونها تتضمن الأحكام الشرعية العملية التي على أمة المسلمين الالتزام بتطبيقها، والتي تتغير بواقع المكان والزمان حينما لا تخضع لنص قاطع في الكتاب والسنة، وبذلك يصبح تتبع مسارها ضرورة أكاديمية في تناول ماسلفت الإشارة إليه.

أ- رغم ضخامة عمل البرزلي (ت841هـ/1438م) "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"[1]- وأخذه عن أحد شيوخ تلمسان وهو ابن مرزوق الخطيب[2] فحضور فتاوى فقهاء تلمسان فيه كان مقتضبا ممن يفتح مجالا للسؤال، هل لوجود مصنف آخر معاصر له فيما يلي ذكره؟ أم بسبب تركيزه على فتاوى علماء إفريقية؟.

ب- نوازل ابن مرزوق الحفيد[3](767-842هـ/1364-1439م)، ورد اسم مخطوطه "باسم نوازل أبو عبد الله علي بن أحمد بن مرزوق"، إلاّ أنه بالرجوع إلى متنه تبين أنّه لابن مرزوق الحفيد، ويحتوي على مجموعة هامة من فتاوى فقهاء تلمسان من بينهم شيوخه، على أن أهم نسبة من هذه الفتاوى هي لصاحب المؤلف، وقد نقل عنه الونشريسي في معياره.

يعاب على النسخة التى تم العمل عليها كتابتها بخط مغربي رديء مايصعب على الدارس تصفح مضمونه،إضافة إلى تعدد نساخه.

ج-يعد المازوني[4](ت 8هـ/1478م) صاحب مخطوط الدرر المكنونة في نوازل مازونة، من طلبة علماء تلمسان وأخذ عن عدد منهم، عدا كونه قاضيا[5] ما يسّر له تدوين عدد هام من فتاوى فقهاء تلمسان.

د- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني (783-914هـ/1381-1509م). يلتقي الونشريسي مع ابن مرزوق الحفيد والمازوني في الانتماء للمدرسة التلمسانية. يأخذ مصنف الونشريسي أهميته انطلاقا من ضخامته واحتوائه على النوازل المتأ خرة لفقهاء تلمسان، وتسمح مقارنة الفتاوى المتوفرة بنصوصها الأصلية والتي امتازت بالأمانة الشديدة في النقل ونسبة الفتاوى إلى أصحابها بالاطمئنان في التعامل مع النصوص التي لم تصل إلينا. إلاّ أنّ ما يعاب على هذا الصنف من المصادر هو الاكتفاء بذكر اسم شهرة المفتي وغالبا ما يوقع الدارس في مشكلة تشابه

---

[1]-أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار المغرب الإسلامي.

[2]-شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي (831-902هـ/1427-1496م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تحقيق: كونفر أوفست، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).252/2. التنبكتي:المصدر السابق/368-369.

[3]-المصدر السابق.

[4]-المصدر السابق

[5]-التنبكتي/637.

الأسماء خلال الفترة الوسيطة، وحين يكون الفقهاء من أسرة واحدة يصعب التفريق بين نوازلهم حينما تضم الأسرة أكثر من فقيه ولا يشار للفقيه إلا باسمه العائلي كما هو الشأن مع المرازقة أو العقبانيين؛ مما يأخذ من الدارس مجهودا شاقا لنسبة كل فتوى إلى صاحبها هذا إذا توفرت له الآليات التي تسمح له بذلك، ومن بينها تتبع محتوى المؤلف صفحة صفحة والتثبث من الصيغة التي يتبع بها ذكر المفتي كسيدنا أو الخطيب أوالإمام.

أولا-أ-5/كتب التعريف بالعلوم والمؤلفات.

لاغنى لدارس النخب الدينية في التعامل مع هذا الصنف من المصادر للغوص في حيز هام من نشاطم العلمي بالتعريف بمؤلفاتهم والعلوم التى تصب في منحاها من جهة، والتعريف بهم من جهة أخرى، ومن أهم الكتب التى تخص الفترة موضوع الدراسة:

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى الشهير بـ "بطاش

كبرى زادة "[1] (901-968م/1495-4560م)، قسم المؤلف كتابه إلى جزأين: اختص الأول بالعلوم الشرعية والثاني بالعلوم الخطية واللسانية والتاريخ، والعلوم العقلية، وقد اعتمد جملة من المصنفات الهامة من بينها مقدمة ابن خلدون، ومما يزيد في تثمين هذا المصنف الاقتباس الحرفي عنه من خلال كتاب حاجي خليفة (1017-1067هـ/1608-1656م) في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون[2]، خاصة في تعريفه للعلوم والمصنفات. وقد ذيل البغدادي مصنف حاجي خليفة في في كتابه ذيل كشف الظنون بإضافته لبعض المعطيات، مما حول مفتاح السعادة لموسوعة[3].

يلحق بهذه المصادر كل التراث العلمي والأدبي المنتج من قبل النخب الدينية بحيث لا تستقيم دراستهم بمعزل عن انتاجهم مما لايتسع له مجال هذه الدراسة .

أولا- ب/ المصادرغيرالمتاحة/ إشكالية المجهول والمفقود

يضطر المؤرخ لتاريخ العصر الزياني المتقدم للتعامل مع مصادر متأخرة تعود إلى النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، إذا استثنى من ذلك رحلة العبدري (كان حيا سنه 688هـ/1289م)[4] وهو فراغ كبير يمتد على ما يزيد عن القرن من الزمن[5]، ويلاحظ الأثر

---

[1]-مراجعة وتحقيق: كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، مصر، (د.ت).

[2]-حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (1017-1067هـ/1608-1656م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف يالتقايا وبيلك الكبيسي، مكتبة الرباط، الجزء الأول، 1941، الجزء الثاني 1943.

[3]-في حين نلمح النقل الحرفي في هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين(طبع بعناية وكالة المعارفة الحلبية، استنبول،1951).

[4]- المصدر السابق

[5]- يصعب الجزم إذا كانت هذه المصادر الأولية ضائعة أو محفوظة لم يتم استغلالها من قبل الدارسين.

السلبي لهذا الإشكال بشكل واضح عند العمل على هذا الحقل الزمني إذ يشل الاقتضاب في المادة الخبرية يد الدارس عن تناول عدد من المواضيع و وعلى رأسها ماتعلق بالمادة الخاصة بتراجم القرن السابع.

فبالرغم من المكانة العلمية التي احتلها بعض العلماء لا نقف لهم على أثر فيما يتصل بإنتاجهم الفكري و العلوم التى قاموا بتدريسها، وبعض الروايات تبقى قليلة إذا ربطت بالمكانة العلمية لهؤلاء االعلماء [1] وبما يتوفر للباحث خلال القرن الثامن؛ فعلى سبيل الذكر من بين ثمانية عشرة خطيبا في الفترة موضوع الدراسة لم يتم رصد سوى ثلاثة خطباء عهد يغمراسن[2].

يزيد من صعوبة هذا الموقف عدم كشف عدد من الروايات المتأخرة عن مضانها؛ كما يفتقد للوثائق الرسمية المتعلقة بعهود التولية الخاصة بوظائف العلماء الرسمية ومختلف سجلات الدولة التى لاغنى للدراس عنها في التزود بمادة عن نخبها.

ولم يكن ضياع المصنفات مقتصرا على مؤلفات القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) فقط بل امتد إلى القرن الثامن (الهجري/ الرابع عشر ميلادي) وبعضها الآخر ضاع خلال القرون الموالية، وكانت الظروف التي شهدتها تلمسان في صراعها مع الحفصيين والمرينيين من الأسباب الرئيسة في اندثار جزء هام من تراثها[3].وهناك سببا آخر لا يقل أهمية هو أن عدد من المصنفات لم يكتب لها الانتشار في حياة أصحابها، يستشهد في ذلك بما ذكره ابن مرزوق الخطيب[4] في دواعي تأليف كتابه المجموع، والاستطراد في تعريف بعض الأعلام المعاصرين لأسرته.يمثل كتاب زهر البستان[5] دليلا في غاية الأهمية على ما سبق ذكره فبالرغم من أهميته يجهل مؤلفه، ومصير القسم الضائع منه، وهو الجزء الأول ولم يرد ذكره في المصنفات المتأخرة سوى عند التنسي (ت899هـ/1493م)[6] الذي أشار لهذا الكتاب لمن يرغب في الاستزادة عن حروب أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/1358-1388م) ووقائعه.

يقدم في الصدد ذاته كتاب بغية الرواد لابن خلدون الذي انتهى ما وصلنا منه عند أحداث سنة (777هـ/1375)[7] ويعتقد أنه غير تام للأسباب التالية، ففي الصفحة (327) من الجزء الثاني وردت العبارة التالية: « تم السفر الأول من كتاب بغية الرواد...» ومعنى ذلك أن هناك سفر آخر يليه يبدأ من أحداث

---

(1)- للتفصيل ينظر صابرة خطيف: المرجع السابق/270 ومابعدها.
(2)-للتفصيل ينظر المرجع نفسه/406-407.
(3)- ابن مرزوق: المناقب/148،142.
(4)- المصدر نفسه/142.
(5)- المصدر السابق.
(6)-التنسي: المصدر السابق
(7)-المصدر السابق 328/2-332.

السنة الموالية يدعم ذلك ما أضيف من المخطوطتين (أ) و(ب)[1] التي تنتهي بنص مفتوح يختم بعبارة:" انتهى ما وجد من هذا التاريخ المسمى بغية الرواد"[2]، لذلك يعتقد بوجود سفر آخر قد يبلغ لأحداث سنة (780هـ/1378) وهي السنة التي كان فيها مقتله ويمكن الإشارة إلى بعض المصنفات الضائعة فيما يلي:

أولا- ب-1/- كتب التاريخ:

- درر الغرر: أشار له التنسي[3] في حديثه عن حصار تلمسان الخامس (698-707هـ/1298-1037م).

أولا- ب-2/- كتب التراجم:

- راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو وقيل فيه من الأمدح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح: وهو مؤلف في أبي حمو موسى الثاني من قبل التنسي[4]، أشار له في تناوله للمولد النبوي عهده قائلا «وما قاله المولى أبو حمو وقيل فيه من الشعر كثير لا يحتمله هذا المجموع، ونحن نجمعه إن شاء الله في كتاب يختص به بعد فراغنا من هذا المجموع»، يؤكد تصنيفه لهذا الكتاب المقري في كتابه نفح الطيب[5] وأزهار الرياض[6]، معلقا أن النص الذي كتبه في نظم الدر والعقيان أتم مساقا" من كلامه في راح الأرواح[7]

أولا- ب-3/- كتب الرحلات

-نظم اللئالئي في سلوك الأمالي للمقري الجد، وهو مصنف في التعريف برحلات هذا العالم واستعراض مساره الفكري منذ حداثة سنه، وإلى فترة متقدمة من حياته، وقد تراوحت هذه الرحلات بين طلب العلم، الحج والسياحة، كما تناول التعريف بأسرته وشيوخه، على أن تركيزه في التعريف بشيوخه وما أخذ عنهم بتلمسان يبعث على التساؤل هل ذلك هو أصل الرحلة؟ أم أحد أحفاده الذي نقل هذا المؤلف وهو أبو العباس المقري[8]، هو الذي ركز على هذه المرحلة من تواجده بتلمسان للأسباب السالف ذكرها عند الحديث على كتابيه.

وبدون شك أن تسليط الضوء على المصنفات المدونة خلال العصر الزياني في مختلف العلوم، سيكشف لا محالة عن مصادر أخرى ضائعة، هذا ما يطرح إشكالا في غاية الأهمية، كم هي المصادر - بمختلف أصنافها- التي تجهل عن تاريخ تلمسان أو تعد في حكم المفقود؟ وما هي حجم المادة التي

---

[1]-المصدر نفسه، 2/328-332.
[2]-المصدر نفسه، 2/331-332.
[3]- المصدر السابق/132.
[4]- ينظر: المصدر نفسه 178.
[5]- 6/513-514.
[6]- 1/243-244.
[7]- المقري: المصدر نفسه، 1/245.
[8]- أزهار الرياض، 5/12-75. نفح الطيب، 5/205-207، 215-254.

تحملها؟ وبالتالي إلى أي مدى يبدو إسهام الدارس في طرق أي موضوع متصل بهذه الحاضرة موفقا في غياب العديد من الوثائق الأصلية؟

أولا- ب-4/ افتقار المكتبة التلمسانية لكتب التراجم والفهارس في الفترة موضوع الدراسة

إذا كان النوع الأول وهو كتب التراجم والطبقات يشكل جوهر الكتابة حول أي ظاهرة متصلة بدراسة الأعلام، فكتب الفهارس أو الإثبات أو المشيخات، تعدّ المورد الأول في رصد الحركة الفكرية، بكل مكنوناتها. والدارس للتاريخ الزياني خلال الفترة موضوع البحث، يلاحظ ندرة هذا النوع من المصادر الزيانية، وهو مأأشار له أحد المؤلفين المعاصرين في معرض تعريفه بأسرته[1] إذ ترتكز في جملة محددة من الكتب، بعضها ترجم لعدد من علماء تلمسان، على سبيل الإشادة بأهمية هذه الحاضرة كما هو الشأن مع يحي بن خلدون[2]، أو إبراز لمكانة أسرته كما هو الشأن مع ابن مرزوق في كتابه المناقب[3]، أوالتأريخ لبعض السلاطين مثل ذلك كتاب المسند للمؤلف نفسه[4]، والجزء الذي تناول فيه ابن خلدون[5] علماء تلمسان الذين انضموا إلى المجلس العلمي لأبي الحسن المريني.

ثانيا: إشكالية المكان، الهوية، الزمان، ودور المؤرخ في ضبط ببلوغرافيا النخب حقل الدراسة.

يصطدم الدارس لمجال التراجم بجملة من الصعوبات لا بد من حلها كمرحلة أولى قبل الشروع في بناء أي عمل، من حيث تحديد قائمة الأعلام موضوع البحث بالتثبت من علاقتهم بالمكان المراد دراسته وضبط وأسمائهم وإطارهم الزماني.

أ-علاقة الفقهاء بتلمسان:

لم تكن النسبة للمدينة في كتابات الفترة الوسيطة دليلا في كل الأحوال على مكان الميلاد أو النشأة وخير دليل على ذلك أسرة المقري التي احتفظت بنسبها لمقرة[6] قرونا متوالية بعد استقرارها بتلمسان[7]، وبذلك يكون على الدارس التحقق من علاقة المترجم لهم بتلمسان من حيث كونهم مارسوا أي نشاط أو أقاموا بها تدعم ذلك بالنسبة لتلمسان أو لم يتدعم وهو عكس ما جرت عليه كتابات المتقدمين ومن تبعهم من المحدثين. فقد احتفظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الدراج (ت693هـ) بنسبه لتلمسان في الوقت الذي ولد فيه

---

(1)- إبن مرزوق:المناقب/142.

(2)- المصدر السابق، 100/1-164.

(3)- المصدر السابق/ 140 وما بعدها.

(4)- المصدر السابق/ 265-268.

(5)- التعريف/ 21 وما بعدها.

(6)- بلفظتين فتح الميم وتشديد القاف أو فتح الميم وسكون القاف إحدى قرى الزاب بإفريقية. ينظر: التنبكتي: المصدر السابق/420. المقري: 279/5، 340.

(7)- للتفصيل ينظر: ابن الخطيب: الإحاطة، 191/2-226. المقري: أزهار الرياض، 29/5. نفح الطيب، 203/5-204، 279.

بسبتة[1]، وعدّ العالم الصوفي سليمان بن علي المعروف بعفيف الدين التلمساني (610-690هـ/1213-1291) ضمن علماء تلمسان في الوقت الذي يجهل متى غادرها إذا كان مولده بها؟ وكل ما بحوزة الدارس يخص مكانته ودوره بالمشرق[2].

الطرح نفسه يصدق على الفقيه الأديب أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحي بن عبد الواحد المعروف بابن أبي حجلة التلمساني (725-776هـ/1324-1374م) الذي لا نعرف أنه دمشقي المنشأ إلا من خلال أحد المؤلفات لابن الأحمر[3]، الذي ترجم له ضمن شعراء المشرق، في حين تناولته باقي الروايات[4] والدراسات[5] على أساس نسبته لتلمسان.

وإذا كان عدد من استقر بالمشرق من التلمسانيين –مولدا أو نسبا- ممكن الحصر، فإن من غادرها إلى الأندلس والمغرب الأقصى خاصة وبرز خارجها كثيرا، إذ أمكن رصد عدد معتبر من النخب الدينية المنسوبة لتلمسان على أمل أن يتوفر ما يحدد دورهم بها يذكر منهم على سبيل التمثيل أبو العبد الله محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني ثم المكناسي (ت818هـ/ 1415م)[6]، وأبو الحسن علي بن يحي بن سعيد بن مسعود بن سهل الأنصاري القلني

---

[1]- للتفصيل ينظر إبن مرزوق:المناقب/191.

[2]-للتفصيل حول المصادر والدراسات التي ترجمت له على أساس كونه تلمسانيا ينظر:شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(715-748هـ/1315-1347م):الإعلام بوفيات الأعلام، تحقيق مصطفى بن علي عوض وربيع أبو بكر عبد الباقي، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، 1993، 470/2. محمد بن شاكر الكتبي(ت764هـ/1362م):فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق:إحسان عباس، دار الثقافة،(د.ت)، 72/2-76.عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير(707-774هـ/1301-1372م):البداية والنهاية، دار الفكر العربي(د.ت)، 326/13. خير الدين الزركلي:الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط11، دار العلم للملايين، 1995، 130/3. عمر رضا كحالة:معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت(دت)، 207/4. عمار هلال:العلماء الجزائريون في البلدان العربية لإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(3-14هـ) ديوان المطبوعات =الجامعية، الجزائر، 246/1995. أبو القاسم محمد الحنفاوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط2، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، 1985، القسم الثاني/ 261-262.

[3]-إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر (ت810هـ/1407م): نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ودراسة في حياته وأدبه، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1967/ 228-229.

[4]- ينظر تقي الدين محمد ابن فهد المكي: لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت (دت)/ 161-162. حاجي خليفة: المرجع السابق/ 117، 307، 624. ج2، 994/1943، 1189. البغدادي: هدية العارفين: 136/1،113. عبد اللطيف رياضي زاده: أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون، تحقيق محمد التونجي، مكتبة الخانجي، مصر، (دت)/ 166-187.

[5]- عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1975، 72/1. عمر رضا كحالة: المرجع السابق، 270/4. خير الدين الزركلي: المرجع السابق، 103/3. أبو القاسم محمد الحفناوي: المرجع السابق، القسم الثاني/ 261-262.

[6]- مصادر ومراجع ترجمة: الونشريسي: الوفيات/138. القرافي: المصدر السابق/ 214. ابن القاضي/201. التنبكتي: المصدر السابق/ 497-499. محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (دت)/ 251.

الأصل التلمساني (كان حيا خلال النصف الثاني من القرن السادس أو النصف الأول من القرن السابع الهجري/ النصف الثاني من القرن الثاني عشر أو النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي)[1].

يطرح إشكال آخر في هذا المجال حينما لا تفصح كتب التراجم عن هوية المترجم لهم بشكل دقيق، كما هو الشأن مع أبي زيد عبد الرحيم بن عمر اليزناتي من العلماء البارزين في مجال الفقه والذي ترجم له الغبريني[2] ضمن علماء بجاية ونقل عنه التنبكتي[3]، ولم يمكن التعرف على صلته بتلمسان إلا من خلال إشارة ليحي بن خلدون[4]، في ترجمته لأحد أعلام تلمسان عندما تطرق لذكر أساتذته من تلمسان، كما ورد عند ابن مرزوق[5]، في حالة مشابهة دون أن يحظى بترجمة مفردة رغم أهميته كفقيه.

إن أي دراسة جادة لا تستقيم باستغلال أي ترجمة ضمن مجال جغرافي دون التثبث من علاقتها به مولدا أو نشأة أواستقرار، وبناء عليه يتم توظيف تلك بحسب الموضوع المطروق، بحيث لا يمكن نسبة علم لحقل جغرافي محدد في حين استقر فيه بعد استيفاء تكونه الفكري، أو في مرحلة متأخرة من حياته، لكن ذلك لايحول دون تناول المجال السابق الذكر كمؤثر في تكوينه الفكري، أو إسهامه في الحياة العامة لتلك المنطقة بحسب مايتوفر للدارس من معطيات.

ب- **أسماء الفقهاء:**

يطرح ذات الإشكال في استغلال المادة المتحصل عليها في مجال التراجم فيما يتصل بأسماء الفقهاء بحيث يتوجب ضبط ذلك بمقارنة الصيغة إلى ورد عليها الاسم في مختلف المصادر، ما يتطلب إصلاح بعضها، كما هو الشأن مع أبي عبد الله محمد بن علي بن الحمّال[6] (كان حيا ما بين 769-777هـ/1367-1375م)[7]، فقد ذكره إبن مرزوق[8] ويحيى بن خلدون[9] في ترجمته له بهذه النسبة، بالتأكيد:«ابن الحمّال بالحاء المهملة»[10]، وفي أزهار

---

[1]- مصادر ترجمة: ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، سلسلة المكتبة الأندلسية (دت)/ 213. يحي بن خلدون، المصدر السابق، 101/1.

[2]-أبو العباس أحمد بن أحمد (ت704هـ/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971/ 223.

[3]- المصدر السابق/ 226-227.

[4]- المصدر السابق، 114/1-115.

[5]- المناقب/ 171.

[6]-يحيى بن خلدون:المصدر السابق،117/1-118. ابن مرزوق:المناقب/159. المقري:أزهار الرياض،57/5-58. نفح الطيب، 242/5.

[7]- كان حيا عند تأليف يحيى بن خلدون لمؤلفه.

[8]- ابن مرزوق: المناقب/159.

[9]- المصدر السابق، 117/1-118. ترجمة رقم 48 و52 هي: الترجمة نفسها مع بعض الاختلاف.

[10]- للتفصيل ينظر ابن مرزوق: المناقب/181 حيى بن خلدون: المصدر نفسه، 118/1 ترجمة رقم 51.

الرياض[1] ونفح الطيب[2] ورد نقلا عن رحلة طالبه أبو عبد الله المقري باسم "ابن الجمّال"، على أن الدراسة أخذت بما ذهب إليه ابن مرزوق ويحي بن خلدون على اعتبار تأكيدها اللفظي، وورود تلك اللفظة في ثلاث مواضع من مؤلفه على ذلك النحو، إضافة إلى كونها تحمل النسبة للوظيفة، حمّال، كما هو الشأن بالنسبة للعديد من أسماء الأعلام خلال العصور الوسطى، كابن النجار وابن الفحام... الإشكال ذاته طرح مع الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن حكم الكناني السلوي (ت737هـ/1336م)[3]، ففي حين ترجم له ابن خلدون[4] تحت اسم أبو عبد الله محمد السلاوي أورده طالبه أبو عبد الله المقري[5] بالاسم الأول، وتم اعتماد ذلك على أساس العلاقة بين المترجم والمترجم له كما انفرد بذكر اسمه كاملا، وقد تدعمت هذه الرواية بما ذكره ابن الخطيب[6] والتنبكتي[7] الذي أكدّ على أنه شهر بأبيه أبي إسحاق. وتمكن صلة القرابة في تركيب بعض الأسماء كـ: يحيى بن خلدون الذي تم ضبط اسمه الكامل بناء على ما ورد في تعريف أخيه بنفسه[8] وأبو الحسن المقري[9]، (كان حيا ما بين 769-777هـ/1369-1375م)[10]، بناء على ترجمة ابن عمه أبي عبد الله المقري.

ج-فترة حياة الفقهاء

فيما يخص فترة حياة الفقهاء، يعاني الدراس من تضارب المصادر في ترجمتها لبعض العلماء، وعدم تصريحها بذلك في البعض الآخر ما يتطلب معالجة. ففي حين حدد يحيى بن خلدون[11] سنة وفاة أبي إسحاق التنسي بـ(680هـ/1281م) واعتمد عليه في ذلك بعض المحدثين[12] يرجح أن ذلك تمّ بعد سنة 691هـ حيث أن ابن مرزوق[13] سجل حوارا بين جده موضوع الحديث وبين السلطان أبي يعقوب يوسف المريني(685-706هـ/1286-1307م) سنة 692هـ، يدعم ذلك رواية عبد الجليل التنسي[14]

---

(1)- المصدر السابق، 57/5.

(2)- المصدر السابق، 242/5.

(3)- مصادر ترجمته:ابن خلدون:التعريف/59-60. التنبكتي:المصدر السابق/41. المقري:أزهار الرياض، 19/5. نفح الطيب، 224/5-230.

(4)- التعريف/59-60.

(5)- ينظر المقري: أزهار الرياض، 19/5 وما بعدها. نفح الطيب، 224/5-230.

(6)- الإحاطة، 201/2.

(7)- المصدر السابق/41.

(8)- ابن خلدون: العبر، 795/14-796.

(9)- أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقري، مصدر ترجمته: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 121/1.

(10)- كان حيا عند كتابة يحيى بن خلدون لمؤلفه.

(11)-المصدر السابق، 114/1.

(12)-عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني: حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 42/1982.

(13)-ابن مرزوق: المناقب/293..

(14)-المصدر السابق/127.

الذي ذكر أن وفاته كانت خلال عهد أبي سعيد عثمان بن يغمراسن(681-703هـ/1282-1303م)، والعبدري[1] الذي التقى به وبأخيه عند سفرهما للمشرق، سنة (688هـ/1289م).

واعتبرّ أنّ أبا زيد عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن أبي زاغ[2] حيا سنة (730هـ/1329م)، بناء على ما ذكره ابن مرزوق الخطيب[3] من سفارة هذا الفقيه رفقة والده أبو العباس أحمد بن مرزوق (681-741هـ/1282-1340م) لأبي تاشفين عبد الرحمن الأول (718-737هـ/1318-1336م)، إلى السلطان المريني أبي سعيد عثمان (710-731هـ/1310-1330م) في شأن التوسع الزياني ضد الحفصيين عهد أبي يحيى أبي بكر (718-747هـ/1318-1346م)[4].

وقد تحددت سنة وفاة أبي عبد الله بن النجار بسنة (750هـ/1349م) بناء على مايلي: ذكر طالبه أبو عبد الله المقري أن ذلك في الوباء العام[5] وحددها في موضع آخر بالسنة السابق ذكرها[6]، أما يحيى بن خلدون[7] وأخوه عبد الرحمن[8] فقد أرجعها للواقعة نفسها، لكن حددها بسنة (749هـ/1348م)، وعنهما عدد من القدماء[9] والمحدثين[10] على أنّه يؤخذ برواية المقري، لأنها أقرب من الحدث صاحبها توفي سنة (758هـ/1356م) وهي مدعمة بثلاث روايات مستقلة في التاريخ، لهذا الحدث أولها لابن مرزوق[11] وثانيها لابن قنفذ[12]، وهي السنة التي توفي فيها والده، وثالثها

---

(1)-المصدر السابق/5، 11، 22.

(2)-مصادر ترجمته:المسند/120-121.

(3)-المصدر نفسه/ الصفحة نفسها.

(4)-للتفصيل حول هذه السفارة ينظر: ابن خلدون: العبر، 12/773-777، 13/221-224، 522-524. أبو عبد الله محمد الزركشي (ت بعد 894هـ/1488م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966/68. التنسي: تاريخ بني زيان/143-145. محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر= =المريني (610-829هـ/1213هـ/1465م)، ط1، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت/106-107، روبار برونشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، 1/178-180.

(5)-ينظر: المقري: أزهار الرياض، 5/53. نفح الطيب، 5/238.

(6)-ينظر: المقري: أزهار الرياض، 5/50. نفح الطيب، 5/236.

(7)-المصدر السابق، 1/119.

(8)-التعريف/47.

(9)-الوشنريسي: الوفيات/118. وعنه ابن القاضي: جذوة الاقتباس/190. لقط الفرائد/200. كما نقل التنبكتي (المصدر السابق/405) عن عبد الرحمن بن خلدون، وعنه ابن مريم (المصدر السابق/126).

(10)-محمد عبد الله عنان: لسان الدين بن الخطيب 1968/280. ابن خلدون حياته وتراثه الفكري/22. محمد بن مخلوف: المرجع السابق/221. عبد الحميد حاجيات: "الحياة الفكرية بتلمسان"/152.

(11)- المناقب/192. المسند/265. هامش 4 بناء على المخطوط –أ- التي عمل عليها المحقق، والتي نسخت في حياة صاحبها، وبذلك يكون التصحيح الذي قام به في المتن في الصفحة نفسها في غير محله.

(12)-أنس الفقير/47.

لابن قاضي شبهة[1]، إضافة إلى أن الونشريسي[2] قد وقع في خلل يجهل إذا كان سهوا منه[3] حينما جمع بين وفيات هذا الطاعون على أساس أنها ضمن وفيات سنة 749هـ وبين من توفى غرقا في أسطول السلطان أبي الحسن المريني (731-752هـ/1330-1351م)، سنة 750هـ[4]، وهو ذات الخطأ الذي وقع فيه ابن القاضي[5] الذي نقل عنه. وقد انقسمت المصادر في تحديد سنة وفاة أبي عبد الله الشريف العلوي ما بين سنتي (770-781هـ/ 1368-1379م) الرواية الأولى تعتمد سنة (771هـ/1369) مصادرها أولية ومتنوعة وبعضها قدمت تفاصيل خاصة باليوم والشهر واعتمدتها بعض المصادر المتقدمة[6]، وعليه يمكن الوثوق بها، أما الرواية الثانية فمصادرها ثانوية أحادية[7].

ثالثا: النمط المعرفي للعصور الوسطى وإشكالية التصنيف الدقيق للنخب

تشكل العلوم الدينية المعبر الأول والأساسي في التكوين الفكري للعالم في الفترة الوسيطة، وعادة ماتحدد مكانته بقدر تعمقه في تلك العلوم، ولم يقتصر طلب العلم على العلوم الدينية بكل العلوم الآلية المرتبطة بها، بل تجاوز الإقبال على العلوم العقلية من التلقي إلى الإبداع، وبذلك تشكلت صورة كبار العلماء في شكلها العام كأعلام موسوعيين، دون اهمال خصوصية كل فترة وغياب معيار موحد لحجم ونوع المعارف والعلوم التى يختص بها كل عالم.

وهذا ما يصعب على دارس تلك الفترة محاولة إيجاد تصنيف دقيق للنخب العلمية عند الرغبة في العمل على قسم من العلوم، ويصبح الأمر أكثر تعقيدا كلما ضيقت دائرة العمل، ندلل على هذا الإشكال بعلم الفقه الذي أصبح كما ذكر أحد الدارسين[8] "أعدل الأشياء قسمة بين الناس" في الحضارة العربية الإسلامية، لضخامة تراثها في هذا المجال.

إذا كان الفقه هو الأحكام الشرعية -الخاصة بالعبادات والمعاملات-

---

(1)- أبو بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شبهة:طبقات الشافعية، تحقيق:الحافظ عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ، 16/3.

(2)-الوفيات/200-205.

(3)-لأنه ذكر في موضع من كتابه المعيار (65/10) أن الطاعون حل بتونس سنة 750.

(4)-للتفصيل ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع (كان حيا سنة 861هـ/1456م)، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: محمد بن الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 99/1984.

(5)-لقط الفرائد/200-201.

(6)-للتفصيل ينظر: ابن خلدون، التعريف/64. ابن القنفد، كتاب الوفيات/368. الونشريسي، الوفيات/126. التنبكتي: المصدر السابق/ 432.

(7)-ابن القاضي: لقط الفرائد/214. المقري: نفح الطيب، 272/5. مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة (1017-1067هـ/1608-1656م):كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف بالتقايا وبيلك الكبيسي، مكتبة الرباط، ج1943،2/1170.

(8)- محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ج1: نقد العقل العربي، ط2، دار الطليعة، بيروت، 96/1985

المستنبطة من الكتاب والسنة[1] وباقي الأدلة باعتبار كل مذهب[2]، فالفقيه هو العارف بتلك الأحكام اجتهادا أو تقليدا[3]؛هذا على المستوى النظري أما عمليا نتواجه صعوبة في تحديد حجم المعارف التي يتلقاها الطالب ليرتقي إلى درجة فقيه، إذ يعلم ذلك بشكل مقارب ويختلف من ترجمة إلى أخرى، والأصعب أنه لا يعرف عن التكوين العلمي لعدد كبير من الفقهاء إلا النسبة للفقه، كما هو الشأن مع أبي زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي (كان حيا خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي)[4]، وبشكل استنتاجي انطلاقا من مزاولة أحد الوظائف التي تتطلب تكوينا فقهيا، كالقضاء،الإمامة والخطابة، أو التدريس أو التأليف في هذا المجال في الفقه أو أصول الفقه أو العلوم المرتبطة بالفقه كعلم الفرائض وعلم الشروط والسجلات أو اعتبارا للمكانة العلمية ضمن هذا الإطار.

ويزداد الأمر إشكالا حينما لا تتفق الروايات على اعتبار المترجم له فقيها كما هو الشأن مع أبي بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي[5] (ت685هـ/1287م)[6]، ففي حين ذكر طالبه أنه فقيه[7] ووافقه في ذلك يحي بن خلدون[8] في قوله: أنه كان من أبرع الكتاب... ومعرفة بأصول الفقه؛ نقل ابن الخطيب[9]عن ابن الزبير (627-708هـ/1229-1308م) أنه " مشارك في أصول الفقه" على أنه تم اعتماده ضمن فقهاء تلمسان على اعتبار أن الرواية الأولى مدعمة من مصدرين مختلفي المورد، أولهما هي الأقدم

---

(1)- للتفصيل ينظر: مقدمة ابن خلدون/ 410.

(2)- شوقي عبده الساهلي: المدخل لدراسة الفقه الإسلامي-نشأته، مراحل تطوره، أعلامه، مدارسه، مذاهبه، أدلة الأحكام، الحكم الشرعي، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مؤسسة علي الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، 1989/ 152-207. موسى إبراهيم الإبراهيمي: المدخل إلى أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي، تقديم مصطفى سعيد الخن، دار عمار، شركة الشهاب، الجزائر، سلسلة دراسات إسلامية منهجية هادفة رقم 4، 1989/ 30-79. وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ط1، دار الفكر الجزائر، دمشق، 1986، 417/1-716. 733/2-927.

(3)-للتفصيل ينظر: ابن خلدون: المقدمة/ 413. محمد جمال الدين القاسمي: الفتوى في الإسلام، تحقيق محمد عبد الحميد القاضي، قصر التراث، البليدة، (دت)/ 41-43.

(4)- مصادر ترجمته: ابن مرزوق: المناقب/.

(5)- مصادر ومراجع ترجمته: خالد بن عيسى البلوي (ولد 713هـ/1313م- كان حيا سنة 767هـ/1365م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المملكة المغربية، الإمارات العربية المتحدة، (دت) 150/16-151. ابن الخطيب: الإحاطة، 426/2-433. يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 129/1. التنسي: المصدر السابق/127-128.ابن مريم: المصدر السابق/227. رابح بونار: "أبو بكر محمد بن داود كاتب يغمراسن"/21-27.

(6)- ابن الخطيب: الإحاطة، 433/2. وقد أورد يحيى بن خلدون (المصدر السابق، 129/1) تاريخا متقدما لذلك وهو عاشوراء سنة (636هـ/1238م) وعنه ابن مريم (المصدر السابق/227) على أنّه يؤخذ برواية ابن الخطيب للأسباب= =التالية: أن أبا عبد الله بن خميس المولود سنة (650هـ/1352م) طالبه (للتفصيل ينظر العبدري: المصدر السابق/15-17)، يضاف لذلك ما ذكره رابح بونار (للتفصيل ينظر: "أبو بكر محمد بن داود كاتب يغمراسن/23).

(7)- ينظر: العبدري: المصدر السابق/15.

(8)- المصدر السابق، 129/1.

(9)- الإحاطة، 426/2.

زمنا ومعاصرة للمترجم له.

وكانت العوامل الشخصية و الموقف من الفلسفة من الأسباب التى تمنح فرصة للخصوم لمنافرة منتحليها من ذلك موقف الفقيه التلمساني أبي عبد الله بن هدّية[1] من بلديه أبي عبد الله بن خميس بحيث وصفه في شرحه لإحدى رسائله بجهل الفقه ومعاداة أهله[2]، مع إجماع جملة من الروايات[3] على فقهه. وفي حين تحددت مكانة بعض الفقهاء انطلاقا من تعمقهم في جملة من العلوم بما في ذلك الفقه[4]، طغت على البعض الآخر صفة الأدب والتاريخ كأبي زكريا يحي بن خلدون كاتب أبي حمو موسى الثاني ومؤرخ البلاط الزياني –الذي لا يعثر له في المجال الفقهي على أي أثر-أو في علوم بعيدة نسبيا عن الفقه كما هو الشأن مع أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري المعروف بالآبلي (681-757هـ/ 1282-1356م)[5] "شيخ العلوم العقلية"[6] بالمغرب والذي أخذ عدد معابر من طالبة المغرب والأندلس[7]، مع العلم أنه درس الفقه وأصوله[8] إلا أنه لم يبرز كفقيه.

الأمر ذاته يصدق على الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن منصور بن علي بن النجار[9] (ت750هـ/1349م) «التعالمي نخبة وقته... [الذي] ساد أهل

---

(1)-أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي(ت 735هـ/1334م)، مصادر ومراجع ترجمته: يحي بن خلدون المصدر السابق،1/ 116. النباهي: المصدر السابق/ 134-135. ابن فرحون: المصدر السابق /288. ابن خلدون المصدر السابق،471/13. المقري: أزهار الرياض ، 48/5-49.

(2)- المهدي أبو عبدلي "أبو عبد الله محمد بن خميس"/9. وللتفصيل حول خلفية هذا الموضوع ينظر طاهر توات، ابن خميس/ 41 وما بعدها. المهدي أبو عبدلي، "أهم الأحداث الفكرية بتلمسان"/ 128-132. "أبو عبد الله بن خميس"/2-9. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990. 269/3-295.

(3)- ينظر ابن الخطيب، الإحاطة، 529/2. يحي بن خلدون، المصدر السابق، 86/1، 109، 208. السيوطي، بغية الوعاة، 201/1.

(4)- للتفصيل ينظر صابرة خطيف: المرجع السابق/270 ومابعدها.

(5)- مصادر ومراجع ترجمته: يحي بن خلدون: المصدر السابق، 85/1، 120. ابن مرزوق: المسند/ 226-227، 138. ابن خلدون: المقدمة، 295-296، 307-308. العبر، 189/13-190، 196-201، 483-484. التعريف/ 21-22، 33-38، 45. الرصاع: فهرست الرصاع ، ط1، المكتبة العتيقة، تونس، 90/1967 وما بعدها. الونشريسي: المعيار، 479/2-481. 175/12. القرافي: المصدر السابق، /243-244. ابن القاضي:. جدوة الاقتباس/191-192. التنبكتي: المصدر السابق/224 وما بعدها. المقري: أزهار الرياض، 60/5-66. نفح الطيب، 273/5 وما بعدها.

(6)- ابن مرزوق: المسند/266. ابن خلدون: التعريف/21.

(7)- ينظر: ابن الخطيب: الإحاطة، 443/3-444. يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 120/1. ابن مرزوق: المسند/266. ابن خلدون: التعريف/47. الرصاع: المصدر السابق/90، 130، 164. التنبكتي: المصدر السابق/416، 464، 468. المقري: أزهار الرياض، 61/5. نفح الطيب، 274/5.

(8)- ابن خلدون: التعريف/22، 37-38.

(9)- مصادر ومراجع ترجمته: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 119/1. ابن مرزوق: المسند/366-308. ابن خلدون: التعريف/47. الونشريسي: الوفيات/118. القرافي: المصدر السابق/242-243. ابن القاضي: جذوة الاقتباس/190. لقط الفرائد/ 200.التنبكتي: المصدر السابق/404-405. ابن مريم: المصدر السابق/153-154. المقري: أزهار الرياض، 51/5-53، 56. نفح الطيب، 236/5-238. عباس بن إبراهيم المراكشي: المرجع السابق، 263/3-265.

زمانه في العلوم المعقولة مع شعر نبيل وكتابة رائقة[1]. على أن ما يمنح الثقة في التعامل مع تلك التراجم على اعتبارها لفقهاء راجع إلى المصادر الأولية للدراسة التي لم تطلق هذه النسبة "فقيه على كل من ترجمت أو أشارت له، يؤكد ذلك نسبة بعض الأعلام "للمشاركة في الفقه"[2] بدلا من اعتبارهم فقهاء، ويأخذ الباحث بما ذهب إليه أحد الدارسين[3] من أن الأساتذة هم الذين كانوا يمنحون لطلبتهم هذا اللقب بعد تحصيل قدر من المعارف، على رأسها الفقه. ويمكن أن نختم عملنا بمايلي:

جلّ المصنفات التى تم التعامل معها صدرت عن علماء دين ما يعكس صورة العالم في العالم الإسلامي والقائمة على علوم الدين كمعبر أساسي وأولي لمواصلة الحياة العلمية أو العملية، وهو مايبرر الحضور الكمي لتراجم هذا الصنف من العلماء. أن نسبة كبيرة من مادتنا الأولية عن علماء تلمسان قد أمدتنا بها مصادر زيانية معاصرة، أو لها علاقة بالبلاط وعلماء الحاضرة بحيث شكلت معطيات من حقل معرفي واجتماعي وسياسي واحد، وللحقل نفسه، وهذا لايخلو من إيجابيات كما أنه لايفتقر لسلبيات.

---

(1)- يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 119/1. وأكدت العديد من الروايات على مكانته في "التعليم" ينظر ابن مرزوق: المسند/306. ابن خلدون: التعريف/47. الونشريسي: الوفيات/118.

(2)- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر الثامن، القسم الأول، /270. يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 103/1.

(3)- محمد منير سعد الدين: العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع، ط1، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992/ المرجع السابق/182.